

الفصل الثاني

أشكال من المراهقة

في مصر

إن أول ما دلت عليه الدراسة المقارنة لحالات البحث ، هو التعدد الواسع للأشكال والصور التي اتخذتها صراقة الأفراد المختلفين - حتى لتكاد كل حالة من الحالات المدروسة أن تباين كل حالة غيرها في جانب أو آخر من صورة المراهقة ، وحتى ليمكن القول بأن عدد الأعاط المختلفة في المراهقة لا يقل كثيراً عن عدد المراهقين أنفسهم ! .

فلم يكن كافياً لتحديد صورة المراهقة أن ينتمى المراهق إلى القرية أو إلى المدينة ، أو أن يسلك خط التعليم الديني أو المدني . فإلى جانب ثقافة المجتمع المحيط وثقافة مهاد التعليم ، كانت هناك عوامل أخرى متعددة أكثر تخصيصاً وأقرب اتصالاً بالخطوط والملامح المميزة لصورة المراهقة - عوامل مثل الظروف المادية والنفسية لكل مراهق ، والطابع المميز الذي الذي طبع علاقاته في الأسرة وفي مجموعاته الضيقة الأخرى ، وتاريخه التطوري ، وخبراته الخاصة في المراهقة وما قبلها . . وعوامل أخرى تتصل

يشخصيته وبنائه الجسمي النفسى . وبهذا تمدر أن تتشابه مراهقة فردين من كل الوجوه أو حتى من أغلب الوجوه . وبهذا أيضاً كانت المقارنة بين الحالات المختلفة عملية على درجة كبيرة من الصعوبة والتمقيد والتشابك ! وبإزاء ذلك ، فإن التقسيم الذى يمكن الاتجاه إليه فى دراسة الحالات المختلفة لا يمكن إلا أن يكون تقسيماً إلى فئات واسعة وأشكال عامة فى المراهقة ، وليس إلى أعماق ضيقة متمايزة تماماً . ويستهدف مثل هذا التقسيم تجميع الحالات التى تتشابه فى مجموعة من السمات البارزة ، لمعرفة التشابه أو الاختلاف فى العوامل والظروف التى أنتجت هذه السمات المشتركة . . . وقد أمكن ، بهذه الطريقة ، استخلاص أربعة أشكال عامة للمراهقة فى مصر ؛ لا نقول إنه لا يوجد تداخل بينها ولا أن حالات الشكل الواحد منها تنطبق تمام المطابقة .

هذه الأشكال العامة هى :

الشكل الأول : المراهقة التكيفية :

وعدد حالاته فى البحث ١١ حالة .

الشكل الثانى : المراهقة الانسحابية المنطوية :

وعدد حالاته فى البحث ١٤ حالة .

الشكل الثالث : المراهقة العدوانية المتفردة :

وعدد حالاته فى البحث ١١ حالة .

الشكل الرابع : المراهقة المنحرفة (وهي الصورة المبالغة للشككين الثاني والثالث) :

وعدد حالاته في البحث ١٠ حالات .

وبالإضافة إلى هذه الأشكال الأربعة ، وجدت حالات المراهقة التي لم تثبت على حال واحد ، والتي تغيرت صورتها بتغير ظروفها ، وعددها ٩ حالات . وكذلك الحالات التي لا تندرج تحت شكل واحد ، والتي جمعت بين ملامح شككين أو أكثر ، وعددها ١٢ حالة .

وسنناقش في بعض الفصول التالية كلاً من هذه الأشكال ، لتوضيح سماتها المميزة والعوامل الفعالة فيها . . على أننا نحسب ، قبل الدخول في هذه المناقشة ، أن نوضح أمراً هاماً — وهو أن كل عامل من العوامل التي تتكيف بها المراهقة ليست له ، على حدة ، قيمة كبيرة وإنما يتوقف أثره على مجموعة العوامل الأخرى التي قد توجد إلى جانبه وعلى الطريقة التي تتفاعل بها العوامل معاً . وبعبارة أخرى فإننا قد نقابل عاملاً مثل (س) في أكثر من شكل واحد من أشكال المراهقة ، ولكن وجود هذا العامل مع العاملين (ص) ، (ع) يجعل المراهقة تختلف في صورتها وشكلها عن وجوده مع عاملين آخرين مثل (ل) ، (م) .

فإذا اعتبرنا عاملاً مثل ترتيب المراهق بين إخوته (كأن يكون أكبرهم أو أصغرهم أو أكبر الذكور الخ . .) فإنه يصعب التنبؤ من معرفة هذا الترتيب وحده ، بما يمكن أن يكون له من أثر في تكيف المراهقة — ذلك أن هذا الترتيب لا يعمل دائماً بطريقة واحدة وإنما يختلف عمله باختلاف

بعض العوامل الأخرى ؛ مثل ثقافة الوالدين ، ونضجيهما الوجداني ،
ووما لديهما من مفاهيم تتعلق بترتيب أحد الأبناء أو جنسه . . . ليس هذا
فحسب ، بل لقد تختلف معاملة اثنين من الآباء لابنهما الأكبر — مثلاً —
فيصرف الواحد في تدليله ويسرف الآخر في القسوة عليه ، وكلا الأبوين
يستهدفان التخصيص في رعاية الابن الأكبر — كل من وجهة نظره ! . . .
ولقد يحظى أحد الأبناء من غير ذوى الترتيب الممتاز برعاية لا يلقى مثلها
أخ له متميز في الترتيب ؛ وذلك لسبب مرض الأول المتكرر أو تفوقه
في بعض الاستعدادات التي تصيب اهتمام أحد الوالدين أو كليهما . . . إلى
غير ذلك من الظروف التي يمكن أن تحيط بالوضع الخاص للمراهق
في الأسرة ، فتجمل له معنى خاصاً في كل حالة ، ويختلف بالتالي تأثيره
في صورة المراهقة .

وما يقال عن الترتيب بين الإخوة يقال مثله عن أى عامل فرد
في المراهقة ، كالنجاح الدراسي ، أو التنشئة الدينية ، أو المستوى الاقتصادي
للأسرة . . . فالمراهقة هي محصلة كل هذه العوامل وغيرها . وصورتها
النهائية لا تعتمد على شدة العوامل المختلفة فحسب ، بل على ما يقوم بين
هذه العوامل من علاقات كذلك .

من أجل ذلك رأينا أن تتبع الدراسة التحليلية (التي ستلى) لكل
شكل من أشكال المراهقة ، بموجب بعض حالات هذا الشكل — حتى
يستبين من الأمثلة الطريقة التي تتشابه بها العوامل المختلفة ، فتنتج صورة
معينة من صور المراهقة .